المحاضرة الثالثة: السميائية مفهومها موضوعها وخصائصها
أ.د نبيل مزوار

مقدمة :
تعد المناهج النقدية النصوصية ثمرة من ثمار المثاقفة العربية مع الفكر الغربي ولعل من أهم المنهج التي استطاعت أن تقرأ النص قراءة عمودية متسائلة بغرض بلوغ الغاية في فهمه وتحليله هو المنهج السميائي موضوع هذه المحاضرة التي نحاول من خلالها طرح مجموعة من الأسئلة فما مفهومه ؟ وما تاريخه وما مرجعيته ؟ وما موضوعه وأهدافه وما هي أهم مبادئه وخصائصه ؟

مفهومها

السميائية لغة

السميائية لفظة مشتقة من الأصل اليوناني Seméion الذي يعني (علامة)، و Logos يعني (خطاب) وبامتداد أكبر كلمة Logos تعني العلم و المعرفة .[1]

-جاء في :لسان العرب أن السمياء من الفعل (سام) الذي هو مقلوب (وَسَمَ) ،، ويقولون (:سِيمَى) بالقصر، و (سيماء) بالمد، و سيمياء) بزيادة الياء وبالمد، ويقولون (:سَوَّمَ) إذا جعل سمة ... سَوَّمَ فرسه، أي :جعل عليه السيمة،.وهي العلامة [2] قال ـ تعالى ـ: {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ} [3]
قال الشاعر :غلام رماه الله بالحسن يافعا ***له سيمياء لا تشق على البصر.

السمياء اصطلاحا :

:" علم يدرس العلامة ومنظوماتها (أي اللغات الطبيعية والاصطناعية) كما يدرس الخصائص التي تمتاز بها علاقة العلامة بمدلولاتها . " [4]

-يعرفها دو سوسير علم" يدرس حياة الرموز و الدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي"[5] ويعتبرها بيرس "بأنها نظرية شبه ضرورية أو شكلية للعلامات [6]

- هي العلم الذي يدرس بنية الإشارات وعلائقها في هذا الكون، ويدرس بالتالي توزعها ووظائفها الداخلية و الخارجية [7]

---

[1] انظر :فيصل الأحمر، معجم السيميائيات (.منشورات الإختلاف الدار العربية للعلوم ناشرون : الجزائر، لبنان .) ط 2010 . 1 - :م . ص 11 :،12 ، +.
برنان توسان : ما هي السيميولوجيا ، تر محمد نظيف ، افريقيا الشرق ، بيروت ط2 2000ص09
[2] ينظر، ابن منظور، لسان العرب (.دار صادر : بيروت .) دت .ص 311 :، . 312 مادة (سوم.)
[3] سورة الفتح 29
[4] إبراهيم صدق/السيميائية اتجاهات وأبعاد ، محاضرات الملتقى الوطني الأول السيمياء والنص الأدبي ، ص 77.
[5] فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام .ترجمة :عبد القادر القنيني (.أفريقيا الشرق : المغرب .) دط 2008 .م .ص : 31، 32
[6] جيرار دولودال، ، السيميائية او نظرية العلامات ، تر :عبد الرحمان بوعلي ، دار الحوار ، سورية ،ط1 2002 ص170
[7] بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر دراسة في الأصول و الملامح و الإشكالات النظرية و التطبيقية(.دار الفجر : الجزائر .) ط 2006 . 1 :م .ص . 109 :نق

ونستخلص من التعريفات السابقة أنه علم محكوم بضوابط قوانين وان اختلاف تعريفاته وتحديداته طبيعي لجدة موضوعه ولعل من أهم الاشكاليات التي تواجه مستعمله هو اطلاق تسميتين(Sémiologie السيميولوجيا و Sémiotique) (السميوتيكا.) .ويبدو أن المتاثرين بسوسير يفضلون(السيميولوجيا و المتأثرون ببيرس يستعملون السميوطيقا[8] وإذا كان بعض النقاد منهم كريستيفا ينظر إليهما كمترادفين [9] في حين يرى غيرهم منهم غريماس أن السيميولوجيا تخص العلامات عامة والاشارات دون استثناء، أمّا السميوطيقا ويسمونها(العلامتية)فتبحث في نظام إشاري معين[10] وهناك من برى السيميولوجيا تختص بالتصور النظري
،والسيويوطيقا بالجانب التطبيقي وعلى أي فقد تم توحيده في مؤتمر للجمعية العالمية للسميوطيقا باريس للسمياء 1969[11] .ومن الإشكاليات التي واجهت الناقد العربي في هذا الصدد تعدد الترجمات حتى أحصاها أحدهم بتسع عشرة مصطلحا [12] منها :
العلاماتية الإشارتية ،علم العلامات الرموزية ، علم الإشارة ...
ويعزى سبب اختلافها للتعدد اللغات الأم و لاتساع العربية مما كان له الأثر السلبي على نقدنا بحيث حال دون بلورة نموذج مؤسس لخطاب علمي دقيق

مفاهيمها

-العلامة

ويقصد بها في بعض معانيها لكثرتها وتنوعها بتنوع ممشاربها -شيء يعادل شيئا آخر مختلفا عنه يقوم مقامه وينوب عنه [13]
ويحدد دوسوسير العلامة" بأنها المركب من دال ومدلول وأنه يستحيل تصور العلامة دون تحقق الطرفين بل إن كل تغير يعتري).الدال يعتري المدلول والعكس بالعكس[14]
و العلامة عند بيرس علاقة ثلاثية بين ثلاث علامات فرعية تنتمي على التوالي إلى الأبعاد الثلاثة للممثِّل والموضوع والمؤوّل"[15] وهي تشمل العلامات اللسانية- و غير اللسانية.ويعرف أمبيرطو إيكو (Umberto Eco) العلامة بأنها "حركة

الدال و المدلول :

ويَقصد سوسير بالدال (أو الصورة السمعية) الانطباع النفسي للصوت، في حين يقصد بالمدلول (أو التصور) التمثيل الذهني للشيء. ويرى سوسير أن العلاقة بين وجهي العلامة لا تقوم على المشابهة والمناسبة، بل تقوم على الاعتباط. مستثنيا من ذلك ما كان رمزا أو إشارة ومهملا في ذات الوقت لعلاقة العلامة بالواقع، مع أن قيمة العلامة فيما تقيمه من علاقات مع غيرها [16]

النسق :

---

[8] انظر :فيصل الأحمر، معجم السيميائيات .ص13 :
[9] عبد المالك مرتاض :في نظرية النص الأدبي، ص162
[10] المرجع نفسه ص162
[11] انظر :فيصل الأحمر، معجم السيميائيات .ص13 :
[12] أعمال ملتقى: " الأدب الجزائري في ميدان نقد السيميائية والنص الأدبي"،معهد اللغة والأدب العربي،جامعة عنابة، ص 75.
[13] ;وائل بركات :السيميولوجيا بقراءة رولان بارث، مجلة جامعة دمشق، العدد الثاني، امج 17/ 2002 ص57
[14] عادل فاخوري :تيارات في السيمياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ط1، 1990،ص11
[15] دولودال: السيميائيات أو نظرية العلامات، ص 21.
[16]. فرديناند دي سوسير : محاضرات في اللسانيات العامة ص 87.

الأنساق الدلالية؛ هي مجموع العلامات التي تنسج فيما بينها شبكة من العلاقات الاختلافية و التعارضية حتى تضطلع بتأدية وظائف دلالية متميزة بين مرسل ومتلق ثم إن قيمة السيمياء تكمن في العلاقة القائمة بين الدال والمدلول فقط دون تجاوزهما إلي الشيء الذي تشير إليه العلامة.

تاريخها

ظهرت السمياء نهاية القرن التاسع عشر، بزعامة دوسوسير الذي بشر بسيدتها[17]
وهناك من يرى أن سبق سيميوطيقا بيرس على سيميولوجيا سيوسير لا يُنَاقَش".
-لكنها صارت منهجا منتصف القرن العشرين وقد استعملها القدامى منهم جون لوك حوالي 1690 م بدلالات مشابهة لاستعماله كما ستعملها أفلاطون و ارسطو

سنة 1752 في التوصيف الطبي [18] كما عرفها العرب القدامى المتصوفة و المناطقة و البلاغيون منهم الجاحظ اللفظ و المعنى في مقابل الدال و المدلول
-وعرفها نقادنا المحدثون "منذ منتصف السبعينيات[19].

دواعيها

ومن أهم دواعيها :-انحسار البنيوية وكثرة منتقديها سيما ما يتعلق بالغاءها السياقات الخارجية المتصلة بالنص فضلا عن ارتداد بعض روادها عنها: بارت ودريدا و من ذلك اكتشاف وجود علاقات دلالية غير مرئية يجليها الواقع وهو من اهتمام السمياء

مرجعيتها يمكن الحديث عن مرجعيتين أساسيتين :

-مرجعية لسانية تستند إلى لسانيات دي سوسير و جهود الشكلانيين الروس وغيرهم سيما سابير وجاكبسون وهلمسليف.زبنفنيست ومرجعية فلسفية تمثلت في الفلسفة اليونانينية فلسفة الأشكال الرمزية الدين والأسطورة والتاريخ) و التراث العربي الصوفي و المنطقي و البلاغي كماتأثرت في العصر الحديث بالمدرسة التجريبية فأول من استخدم مصطلح سيميوطيقا هو الفيلسوف الإنجليزي التجريبي :جون لوك .[20]

خصائصها

من خصائص المنهج السميائي: رفضه التصورات النقدية التقليدية وكذا تأثره سلبا وايجابا بشخصية المحلل ومكانه وزمانه ومن خصائصه أيضا عدم دراسة الإشارات بصورة مفردة بل كجزء من منظومات وكذلك اهتمامه بدراسة الكيفية التي يصنع بها المعنى وتمثيل الواقع

مبادئها

---

[17] د. محمد السرغيني: محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة
[18] انظر :يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي .ص. 96 :
[19] حفناوي بعلي: التجربة العربية في مجال السيمياء ،محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيمياء والنص الأدبي ، منشورات جامعة بسكرة ،الجزائر 15-16 أفريل 2002، ص 164.
[20]. بشير تاوريريت مناهج النقد الأدبي.ص 131

من أبرز مبادئ المنهج السميائي

أ-التحليل المحايث لأنه يعتبر النص كيانا لغويا مستقلا، ولا صلة لها بخارج النص[21]

ب- التحليل البنيوي لإدراك المعنى لا بد من وجود نظام من العلاقات تربط بين عناصر النص ،ولذا فإن الاهتمام يجب أن يوجه إلى التحليل البنيوي..

ج- تحليل الخطاب

تهتم بالدلالة أو معنى المعنى واستكشاف المدلولات المحتملة ولأنها تهتم بالقدرة الخطابية وهي القدرة على بناء نظام لإنتاج الأقوال. على عكس اللسانيات البنيوية التي تهتم بالجملة[22]

موضوعها

موضوعها الرئيس العلامات و أنساقها وهذا ما أكده جون دوبوا حين قال :
"السيميولوجيا ولدت انطلاقا من مشروع دي سوسير. وموضوعها هو دراسة حياة العلامات في كنف المجتمع" فهي تهتم بالعلامة من حيث كنْهُها وطبيعتها، وتسعى إلى الكشف عن القوانين المادية والنفسية التي تحكمها، وتتيح إمكانية تمفْصُلها داخل التركيب"[23]

العلامات قسمان علامات لسانية (أو اللفظية): ويقصد بها الكلام المنطوق وعلامات الكتابة أو الحروف (Graphèmes) بأي لغة كانت.
ب- العلامات غير اللسانية (أو غير اللفظية): وهي التي تقوم على أنواع سننية أخرى غير الأصوات والحروف. ويمكن أن نقسمها إلى علامات عضوية مرتبطة بجسم الإنسان (مثل: حركات الجسم وأوضاع الجسد والعلامات الشمية والسمعية والذوقية...)، وعلامات أدَاتية (Instrumentales) تحيل على أشياء خارجة عن العضوية الإنسانية (مثل: الملابس والموسيقى وإشارات المرور

هدفها

هو إضفاء طابع العلمية و الدقة على الحقول التي تغلب عليها النزعة التأملية و الانطباعية وذلك بتصنيف مادة الظاهرة ووصفها ، من خلال أنساق من العلاقات تكشف عن الأبنية العميقة التي تنطوي عليها . كما تهدف الى استخلاص القوانين التي تتحكم في هذه المادة .

1. علاقة السيميائيات بالمجالات الأخرى نظريا وتطبيقيا :

-يقول بيرس مشيرا صلة السيماء بعارف مختلفة "لم أستطع أبدا دراسة أي شيء - رياضيات، أخلاق، ميتافيزيقا، جاذبية، دينامية الحرارة، بصريات، كيمياء، علم التشريح المقارَن، علم الفلك، علم النفس، صوتيات، اقتصاد، تاريخ العلوم، لعبة الورق، رجال ونساء، خمور، قِياسة –إلا وَفْق الدراسة السيميوطيقية".[24]

---

[21] شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب (.دار الحداثة : بيروت لبنان .) ط 1986 . 1 - :م .ص 138 :؛139

[22]. محمد السرغيني – محاضرات في السيميولوجيا ، دار الثقافة الدار البيضاء ، ط 1 ، 1987م ص 55.

[23] - ذ. محمد إقبال عروي: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، مجلة "عالم الفكر"، الكويت مج 24، ع 3، 1996، ص 191.

[24] - جيرار دولودال : السيميائيات... ، ص 85.

وقد طُبق المنهج السيميائي في مجال دراسة اللوحات الإشهارية والمُلْصَقات.
وقد كتب بارت فيها مجموعة من الأبحاث. منها "بلاغة الصورة كما وظف كريستيان ميتز المنهج السيميائي في دراسة السينما؛ والأفلام باعتبارها علامات سمعية-بصرية. ".[25]- وطَبق بعضهم السيميولوجيا في مجال الموسيقى،. والتشكيل وفن الرسم لويس مارتاكما طبقت السمياء على الأدب من خلال الرواية كما فعل رومان جاكبسون-وعلى الشعر مع جوليا كريستيفا و المسرح مع هيلبو- كير كما توسل كلود بريمون بالمنهج السيميائي في دراسة الحكاية في كتابه منطق القصة .

-المصادر و المراجع
-فيصل الأحمر، معجم السيميائيات (.منشورات الإختلاف الدار العربية للعلوم ناشرون : الجزائر، لبنان .) ط1 2010
-برنان توسان :ما هي السيميولوجيا ، ترجمة محمد نظي ، افريقيا الشرق ، بيروت 2002
- ابن منظور، لسان العرب (.دار صادر : بيروت .) دت.
-براهيم صدق/السيميائية اتجاهات وأبعاد ، محاضرات الملتقى الوطني الأول السيمياء والنص الأدبي
- فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام .ترجمة :عبد القادر القنيني . (أفريقيا الشرق : المغرب .) دط،2008
- جيرار دولودال، ، السيميائية او نظرية العلامات ، تر :عبد الرحمان بوعلي ، دار الحوار ، سورية ،ط1 2002
-بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر دراسة في الأصول و الملامح و الإشكالات النظرية و التطبيقية(.دار الفجر : الجزائر .) ط1 :2006
- د. حنون مبارك: دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر (البيضاء)، ط (1987).
-وائل بركات السيميولوجيا بقراءة رولان بارث، مجلة جامعة دمشق، العدد الثاني مج 17، 2002
عادل فاخوري :تيارات في السيمياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ط1، 1990،
عامر الحلواني، في القراءة السيميائية (.كلية الآداب و العلوم الإنسانية :صفاقص تونس .) ط1 2005

[25] - برنارد توسان : ما هي السيميولوجيا ص 53.